السيرة النبوية وحجيتها في التشريع الإسلامي

The Prophet's biography and its authority in Islamic legislation

10.35781/1637-000-127-003

د. عبد الحميد مجيد الشيش*

د. عادل حسن أمين الحرازي**

*أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

abdulhamid.sis@qu.edu.qa

**أستاذ مساعد في الحديث الشريف وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

aalharazi@qu.edu.qa

الملخص:

اهتم المسلمون -منذ عصر الصحابة- بنقل جميع ما قاله -صلى الله عليه وسلم- وما فعله أو أقرّه، ونقلوا الأحداث والوقائع التي كانت في أيامه، فتشكّلت من هذه الروايات المنقولة (علم السيرة)، وتفرع عنه (الشمائل)، و(الخصائص) و(الدلائل) و(المغازي)، وقد اهتم بها جميعا علماء الحديث، رواية وتصنيفا ونقدا، ولم تكن هذه المرويات من السيرة مجرد قصص تورد للتسلية؛ بل كان لها كبير الأثر في الأحكام التشريعية، فالسيرة النبوية لها مكانتها وحجيتها بشكل عام، ولمرويات السيرة تأثير كبير في الأبواب التشريعية، فكان لهذه المرويات انعكاس على حياة الناس السلوكية، فهذا البحث يهدف إلى بيان الأبعاد المعرفية لهذا العلم وتفرعاته، ومواطن الالتقاء والتداخل بينها، والعلاقة بينها وبين الأبواب التشريعية، والأمثلة على تأثير مرويات السيرة في الأحكام التشريعية، واعتمد البحث على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي المقارن، وخلص إلى جملة من النتائج أهمها: أن مرويات السيرة لم تكن بمعزل عن أبواب التشريع، بل هي جزء من الأحكام التشريعية، والأدلة على أن للسيرة حجة في التشريع كثيرة، ولأجل هذا فقد حرص علماء الحديث على نقل تلك المرويات لما له كبير الأثر على سلوك المسلم في جميع نواحي حياته.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، حجية السيرة، الشمائل النبوية، الخصائص النبوية، الدلائل النبوية، أحاديث الأحكام.

ISSN : 2410-1818

The Prophet's biography and its authority in Islamic legislation

Dr. Abdulhamid ALSIS

Dr. Adel Hasan Ameen Al-Harazi

Abstract

Since the time of the Companions, Muslims have been interested in transmitting all that the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said From these transmitted narrations, the science of biography was formed, from which the science of shama'il (shama'il), shama'il (characteristics), dala'il (evidence), and mughazi (adventures) branched, all of which were taken care of by hadith scholars, narrated, classified, and criticized. These narrations were not just stories told for entertainment; they had a great impact on the legislative provisions, as the biography of the Prophet has its place and authority in general, and biographical narrations have a great impact on the legislative sections, so these narrations had a reflection on people's behavioral life, this research aims to show the epistemological dimensions of this science and its branches, the areas of convergence and overlap, the relationship between them and the legislative sections, and examples of the impact of these narrations on the behavioral life of the people. The research aims to clarify the cognitive dimensions of this science and its branches, the areas of convergence and overlap between them, the relationship between them and the legislative chapters, and examples of the impact of biographical narratives on legislative provisions. The research relied on the descriptive approach and the comparative analytical approach, and concluded that the biographical narratives were not isolated from the legislative chapters, but are part of the legislative provisions, and the evidence that the biography has authority in the legislation is many, and for this reason the scholars of hadith were keen to transmit these narratives because of the great impact on Muslim behavior in all aspects of his life.

Keywords: Prophetic biography, authenticity of biography, prophetic virtues, prophetic characteristics, prophetic evidence, hadith of rulings.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

لقد اهتم المسلمون منذ عصر الصحابة -رضوان الله عليهم- بنقل ما يسمعونه من النبي -صلى الله عليه وسلم- وما يشاهدونه، لأنه القدوة والأسوة في جميع شؤونهم، ولأنه المرسل من الله لهدايتهم في أمور الدين والدنيا، وكان هذا النقل شاملا لأقواله ولأفعاله ولصفاته السلوكية والخلقية، وللأفعال التي حصلت أمامه وبعلمه وهو ساكت عنها، لذلك يقولون (أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته).

وإذ كان الجمع لتلك المرويات شاملا للعديد من أبواب العلم؛ فإنه مع الأيام تطور التدوين فيها آخذا نحو الاستقلال والتفرع، فنشأت عدة مؤلفات تتعلق بسيرة حياته -صلى الله عليه وسلم-، فنشأت السيرة، وسميت (السير والمغازي)، وتفرع عنها (الشمائل)، و(الخصائص) و(الدلائل).

ومن جهة أخرى فقد اهتم عدد من العلماء بجمع المرويات المتعلقة بالأبواب الفقهية (التشريعية)، فمنهم من ضمّ هذه الأبواب مع أبواب العقيدة والسلوك وغيره فسميت كتبهم الجوامع، وكان للأبواب التشريعية النصيب الأكبر فيها، كما أن عددا آخر من المصنفات الحديثية أُفردت لجمع وتصنيف الأحاديث المتعلقة بالأحكام، وأطلق على هذه الكتب (السنن)، وقد استنبط علماء الحديث من هذه المرويات العديد من الأبواب الفقهية، وقد كانت هذه المرويات أساسا للفقهاء فيما تفرّع من استنباطات فقهية.

وبالرغم من حصول الاستقلالية لهذه العلوم والمصنفات وحصول نوع من التخصص في كتب (السيرة) على سبيل المثال، إلا أن كتب الحديث الأخرى (كالجوامع والسنن والمصنفات)؛ نجدها تضمنت مرويات متعلقة بالسيرة، فالتداخل بين الأبواب لا يمكن الفصل التام بينهم.

مشكلة البحث: وعليه فقد تنبثق أسئلة بناء على ما تقدم:

- ما الفرق بين هذه المسميات من المصادر التي اهتمت بمرويات السيرة؟
- وأين مواطن الالتقاء بينها؟
- وهل لمرويات السيرة أثر في الأحكام التشريعية؛ وما الدليل على ذلك؟

أهداف البحث: نحاول في بحثنا هذا بعد المقدمات التي لابد منها من الإطار المفاهيمي لبعض المصطلحات، الإجابة عما تقدم من أسئلة، فضلا عن أسئلة أخرى تنبثق عن ذلك، كبيان الفرق بين أهل الحديث وأهل السير في المنهج لقبول تلك الروايات ونقدها، ومن أهم ما يناقشه بحثنا هذا؛ بيان مكانة السيرة وحجيتها بشكل عام؛ حيث دلّلنا على ذلك ببعض النماذج المروية في كتب الحديث من السيرة، وصولا إلى بيان تأثير تلك المرويات في الأبواب (التشريعية) كما هو محدد في عنوان البحث.

ISSN : 2410-1818

فتناولنا في دراساتنا هذه عددا من مرويات السيرة، من أجل استنباط أهمية هذه المرويات في السيرة وتأثيرها على الاستنباطات الفقهية في المسائل التشريعية، فسيرته -صلى الله عليه وسلم- جزء من مصادر التشريع، وذلك كله في إطار انعكاس هذه الروايات على حياة الناس حديثا بما يحقق النهوض الحضاري، والتأثير الإيجابي على واقع الأمة في شتى الجوانب.

أهمية البحث وسبب اختياره: إن أصل هذا البحث هي فكرة انبثقت من ورقة علمية مختصرة قُدمت إلى مؤتمر علمي بعنوان (السيرة النبوية الشريفة والحضارة)، نظمه (مركز محمد بن حمد آل ثاني لإسهامات المسلمين في الحضارة) والذي يتبع لكلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة، في قطر، وقد أقيم المؤتمر في 1 - 2 مارس 2023، واستنادا للمناقشات وما دار في المؤتمر من أفكار، قررنا تطوير الفكرة لتصبح بحثا علميا، فقمنا باختيار عنوان مختلف عن عنوان الورقة العلمية ليتناسب مع فكرة البحث، وتوسعنا في بعض الجوانب التي لابد منها أكاديميا، وعززنا جميع ما أوردناه بالأمثلة الموثقة ثم تحليلها، وأضفنا ما لابد منه ليكتمل بهذا الشكل الذي بين يديكم.

الدراسات السابقة: على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت جهود العلماء في السيرة ومناهج العلماء، إلا أننا لم نقف -بحسب ما بذلنا من جهد- على بحث أو دراسة تلبي أهداف هذا البحث من حيث الجزئية التي سعى لمعالجتها، والتي ذكرناها آنفا في أهداف البحث ومعالجة مشكلة البحث.

منهج البحث: لقد اعتمدنا في بحثنا على عدة مناهج علمية منها المنهج الوصفي فيما تتطلبه بعض مفاصل البحث، والأغلب هو المنهج التحليلي والمقارن.

خطة البحث: هذا وقد جعلنا البحث في أربعة مطالب، تفرع كل منها إلى نقاط، فكان:

المطلب الأول: تعريف السيرة وتاريخ التدوين فيها. أما المطلب الثاني: فتحدثنا فيه عن حجية السيرة من القرآن والسنة وعمل السلف، ثم المطلب الثالث: حول وجود روايات السيرة عند المحدثين، مع المقارنة بينهم وبين كتب التاريخ، وأخيرا المطلب الرابع: الذي خصصناه لبيان أثر هذه السيرة في التشريع الإسلامي، بأمثلة من القرآن ومن السيرة النبوية.

ومن الله العون والتوفيق.

ISSN : 2410-1818

المطلب الأول: تعريف السيرة وتاريخ التدوين فيها.

أولا: تعريفها:

السيرة لغة: هي بكسر السين، وتنص المعاجم أن "السِّيرَةُ: الطَّرِيقَةُ. يُقَالُ: سارَ بِهِمْ سِيْرَةً حَسَنَةً"[1]. و"السَّيرَةُ: الهَيْئَةُ"[2]، ويدلّلون على ذلك بقوله الله تعالى في قصة موسى -عليه السلام- وعصاه: ((سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى))[طه: 21]، أي سنرجعها إلى هيئتها الأولى وحالتها السابقة[3].

أما من حيث الاصطلاح، فقد تعددت معانيها بحسب السياق الذي ترد فيه، "السيرُة اصطلاحا: لها دلالات متنوعة؛ فقد تكون مرادفةً لمعنى السنة عند علماء الحديث، وتعني طريقة النبي -صلى الله عليه وسلم- عند علماء العقيدة والأصول، كما تعني عند علماء التاريخ أخباره ومغازيه -صلى الله عليه وسلم- وهذه الدلالات والمعاني ليست متضادة، إنما هي متنوعة ومتكاملة"[4].

ومن التعريفات المعاصرة التي رأيت فيها وضوحا وشمول؛ تعريفها بأنها: "هي دراسة حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخباره وأخبار أصحابه على الجملة، وبيان أخلاقه وصفاته وخصائصه ودلائل نبوته وأحوال عصره"[5].

والناظر في التعريف أن الدراسة المتمحورة حول النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ يجدها شاملة لجميع مراحل حياته، فلا يوجد تحديد لزمن دون آخر، فيدخل فيها ما قبل النبوة وبعدها، ويدخل فيها طفولته منذ ولادته؛ بل والناظر في الكتب المتعلقة بالسيرة يجدها تحدثت عن أمور قبل ولادته، وهذا ما لابد منه كوصف للعصر الذي عاش فيه، وما حدث من إرهاصات قبل الولادة وقبل البعثة.

وهنا قد يقول قائل: أن الكثير من ذلك لا علاقة له بالتشريع من حيث أنه خارج الحدود الزمنية لكونه -صلى الله عليه وسلم- مرسلا من الله تعالى، ولكن نقول أن المسألة وإن كانت نظريا صحيحة؛ لكنها لا تخلو من أثر في التشريع، وهذا ما سنتناوله لاحقا.

---

1) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، طبعة دار العلم للملايين – بيروت، ط 4، 1987، ج2، ص691، مادة (سير)؛ وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، طبعة دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج4، ص390، مادة (سير).

2) ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص390، مادة (سير).

3) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج5، ص247.

4) السلمي، د. محمد بن صامل، **السيرة النبوية أهميتها-أقسامها- مقاصد دراستها**، دار ابن الجوزي، ص 8.

5) المرجع نفسه، ص 8.

ISSN : 2410-1818

ثانيا: تاريخ التدوين فيها:

ليس المقصود بهذه السطور؛ أن نقوم بالتفصيل الدقيق لهذا التاريخ ولا بيان مراحل تطوره؛ بل هي إطلالة سريعة تمهّد لفهم ما يأتي من موضوعات في هذا البحث، وإلا فقد كتب العديد من الباحثين كتبا متخصصة بهذا؛ فليراجعها من أراد التفصيل والاستزادة[6].

ولقد تعددت مصادر السيرة وتنوعت، فمنها القديم المفقود، ومنها ما وصلنا سليما، بعضها خُدم بالشرح والتهذيب، وخلت أخرى من ذلك، منها كتب متخصصة في السيرة ومنها ما لا علاقة مباشرة لها بالسيرة من حيث العنوان؛ لكن العلماء جعلوها مصدرا من مصادر السيرة، فضلا عن أن كتبا تفرعت عن السيرة فبات لها اسم خاص؛ بل علم خاص.

أما من حيث تاريخ البدء في تدوين السيرة النبوية وتطور ذلك؛ فيكاد يتفق الباحثون أن أول من بدأ بالكتابة لحياة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- هو عروة بن الزبير (ت92هـ)، ثم أبان بن عثمان بن عفان (ت105هـ)، ثم وهب بن منبه (ت110هـ)، ثم شرحبيل بن سعد (ت123هـ)، ثم ابن شهاب الزهري (124هـ)[7]، ثم توسع الأمر في هذا العلم -شأنه شأن غيره من العلوم-، فباتت الكتب المصنفة فيه بشكل مركّز ومستقل، فمن ذلك موسى بن عقبة (ت141هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت151هـ)، والواقدي (ت207هـ). ولأحد الباحثين المعاصرين دراسة نقدية لهذه المصادر، مقسما إياها إلى (مصادر أصلية)، و(مصادر تكميلية)[8].

ولكن الأمر لم يتوقف عند حدود الكتب المتخصصة بالتوثيق من الناحية التاريخية؛ بل تعداه إلى أن تكون السيرة جزءا أساسيا في كتب الحديث باعتبار أنها مادة نقلت إليهم بطريق الرواية، وباعتبار ما تحمله من آثار علمية وعملية على حياة الناس في مختلف مفاصل الحياة، فاحتلت روايات السيرة هذه مساحة واسعة في دواوين السنة بأنواعها من (الجوامع، والسنن، والمصنفات، والمسانيد، والمعاجم)، وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا عندما نتكلم عن السيرة عند المحدثين في المطلب الثالث إن شاء الله.

ولكن علماء الحديث لم يتوقفوا عند هذا الحد، فأفردوا تلك الروايات المتعلقة بالسيرة النبوية في كتب خاصة مستقلة عن دواوين السنة، فباتت مؤلفاتهم هذه جزءا من كتب السيرة والمغازي،

---

6) ينظر: الزهراني، ضيف الله بن يحيى، **مصادر السيرة النبوية**، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة؛ وعبد الشافي محمد عبد اللطيف، **أوائل المؤلفين في السيرة النبوية**، بلا ط، بلا ت؛ تقي الدين الندوي، **دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى**، بحث مطبوع ضمن البحوث والدراسات المقدمة إلى المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، الدوحة، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، 1981؛ وتقي الدين الندوي، محمد رسول الله رحمة للعالمين، طبعة دار القلم – دمشق، ط أولى، 2022، ج1، ص 36 – 53.

7) ينظر: الزهراني، ضيف الله بن يحيى، **مصادر السيرة النبوية**، ص 1.

8) ينظر: المرجع نفسه.

ISSN : 2410-1818

لكنهم قاموا بتمييز كتبهم هذه عن سائر كتب السيرة بأنهم جعلوها تتفرع إلى ثلاثة علوم، ولكل منها اسمه المستقل بحسب المقصود من جمع الروايات، فظهرت عند المحدثين ثلاثة أنواع من هذه الكتب هي: (كتب الشمائل، كتب الخصائص، كتب الدلائل)، ولابد لنا هنا من تعريف سريع لكل منها:

1- كتب الشمائل: الشمائل لغة: تأتي بعدة معاني؛ منها جمع شمال، أي الجهة اليسرى ضد اليمين ومنه قَوله تَعَالَى: {عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ} [النحل: 48]. ومن معانيها "الشمال: خليقة الرجل، وجمعها شمائل، ... ورجل كريم الشمائل أي في أخلاقه ومخالطته"[9].

أما اصطلاحا فمن تعريفاتها التي أختارها ما وجدته عند أحد المعاصرين بأنها: "علم يبحث في أوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم- الخِلقية والخُلقية، وأحواله الشريفة في تعبده وزهده، وسيرته في نفسه، وفي أهله، وفي أصحابه والناس أجمعين"[10].

وممن ألف تحت هذا العنوان الإمام الترمذي صاحب الجامع أو ما يعرف بـ(سنن الترمذي)[11].

2- كتب الخصائص: الخصائص لغة: قال الفيروز آبادي: "والخاصُّ والخاصَّةُ: ضِدُّ العامَّةِ، ... والتَّخْصيصُ: ضِدُّ التَّعْميمِ"[12].

والمضمون واضح من الاسم؛ فهو متعلق بما يختص به النبي -صلى الله عليه وسلم-، يوضح هذا المعنى السيوطي في مقدمة كتابه الخصائص الكبرى فيقول: "مشتمل على ما اختص به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة والخصائص التي أشرقت إشراق البدور السافرة"[13].

3- كتب الدلائل: الدلائل لغة: من الدليل، دلّه إذا هداه للطريق، قال الفيروز آبادي: "ودَلَّهُ عليه دَلالَةً، ويُثَلَّثُ، ودُلولةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه"[14]، وفي مختار الصحاح: "الدَّلِيلُ؛ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ وَالدَّلِيلُ الدَّالُّ وَقَدْ دَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ بِالضَّمِّ دَلَالَةً بِفَتْحِ الدَّالِ وَكَسْرِهَا"[15].

---

9) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شمل)، ج11، ص369؛ وينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005، مادة (شمل)، ص1020؛ والرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999، مادة (شمل) ص169.

10) الردادي، د. خالد بن قاسم، "المدخل إلى علم الشمائل"، بحث منشور في **حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية**، سنة 2020، العدد (36)، المجلد الثاني، ص 450.

11) ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى، **الشمائل المحمدية**، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، طبعة المكتبة التجارية، مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط 1، 1993.

12) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (خصص)، ص617.

13) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الخصائص الكبرى**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت، ص 4.

14) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (دلل)، ص1000.

15) الرازي، **مختار الصحاح**، مادة (دلل)، ص106؛ وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دلل)، ج11، ص248 – 249.

ISSN : 2410-1818

أما اصطلاحا؛ فقد قال الجرجاني في التعريفات: "الدليل في اللغة: هو المرشد، وما به الإرشاد، وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[16]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن معنى آيات الأنبياء: "هي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم"[17]، أي صدق الأنبياء. وكتب (الدلائل) هي: "التي ألفها أصحابها بقصد جمع المعجزات التي ظهرت على يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- مما يدل على نبوته"[18].

وقبل أن أغادر هذا الموضوع؛ أحب أن أذكر مثالا أدلّل فيه على القاسم المشترك بين هذه العلوم المتفرعة عند علماء الحديث.

أخرج الترمذي في شمائله؛ حديثا من رواية الصحابي السائب بن يزيد يقول: "ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، وَتَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مِثْلُ زِرِّ الْحَجَلَةِ "[19]، وهذا الحديث نجده عند البيهقي في كتابه (دلائل النبوة)[20]، كذا نجده عند السيوطي في كتابه (الخصائص)[21]، من جانب آخر فإن الحديث -وقبل هؤلاء- متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[22]، وفي هذا دليل على التداخل بين هذه الكتب واحتوائها على روايات تصلح للاستدلال بها من عدة جوانب.

16) الجرجاني، **التعريفات**، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى، 1983، ص 104.

17) ابن تيمية، **النبوات**، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، 2000، ج1، ص213.

18) فاروق حمادة، **مصادر السيرة النبوية وتقويمها**، طبعة دار القلم، دمشق، ط 3، بلا ت، ص68.

19) الترمذي، **الشمائل المحمدية**، ص42، حديث رقم (16).

20) البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ودار الريان، بيروت، ط 1، 1988م، ج1، ص259.

21) السيوطي، **الخصائص الكبرى**، ج1، ص101.

22) أخرجه البخاري، في **صحيحه** في أكثر من موضع البخاري منها: كتاب المناقب، باب خاتم النبوة، حديث رقم (3541)؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله، حديث رقم (2345).

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: حجية السيرة.

الأدلة على حجية السيرة كثيرة، نورد منها هنا جانب مما ورد في القرآن الكريم، ثم من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأخيرا بما فهمه العلماء وتطبيقاتهم.

أولا: حجيتها في القرآن.

بما أن أحداث السيرة نقلت لنا -في أغلبها- كمرويات، وللسيرة تعلق كبير بعلم الحديث، فإن الأدلة على حجية السنة[23] هي ذات الأدلة التي تصلح لحجية السيرة، ولكن سنركز على بعض تلك الأدلة مما له تعلق واضح بالسيرة لا بعموم السنة، فمن ذلك:

- ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) [الأحزاب:21].
- ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) [آل عمران: 159].
- ((وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)) [الأحزاب: 34].
- ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران:31].
- ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)) [يوسف: 108].

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على أن سلوك النبي -صلى الله عليه وسلم- مما يجب اتباعه والسير على منواله، سواء في الاقتداء بالجزئيات، أو المنهج العام الذي كان يسلكه في المواقف المتعددة، في العبادات والمعاملات، وفي الدعوة أو السياسة، في الحرب أو السلم، ما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو المجتمع، ولولا الاطلاع على هذه السيرة له، لما استطاع المسلم تطبيق ما يجب عليه من أوامر إلهية، لذلك وجدنا روايات السيرة هذه جزءا من أبواب التشريع لدى المحدثين والفقهاء.

ثانيا: حجيتها في السنة النبوية.

وكذا الأمر في حجية السيرة مما ورد على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلأنها جزء من السنة؛ فجميع ما ورد من أحاديث تحث على الاقتداء به تكون أدلة صالحة في هذا المكان، ولكننا سنقتصر على أمثلة مما فيه الإشارة واضحة إلى سيرته بشكل خاص، فمن ذلك:

1- في حديث أنس، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[24]، فالحديث صريح في أن المحبة شرط للإيمان، ولزوم المحبة معرفة

23) للتفصيل تراجع أدلة حجية السنة مثلا عند: مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، ط 3، 1982.

24) أخرجه البخاري في أكثر من موضع في **صحيحه** منها: في كتاب الإيمان، باب حب الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الإيمان، حديث رقم (15)؛ ونحوه عند مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (43).

ISSN : 2410-1818

جميع أحوال هذا المحبوب، وتاريخ حياته، لذلك فإن أحد أهم ثمار دراسة السيرة هي ازدياد المحبة، وصولا للاتباع.

2- وفي حديث العرباض بن سارية، قال: "وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،..."[25]. وهذا الحديث صريح في وجوب اتباع هديه؛ بل وهدي الخلفاء الراشدين، وسؤال الصحابة له بالعهد معناه الوصية الواجبة.

3- وفي حديث جابر بن عبد الله واصفا كيف كان يخطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأنه كان يقول في خطبته: "أمَّا بعد، فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة "[26].

4- وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[27].

5- وفي حديث عائشة -رضي الله عنها-، قالت: "ما غرت على أحد من نساء النبي -صلى الله عليه وسلم-، ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد"[28]، وقد أخرج البخاري هذا الحديث في عدة مواضع، ومنها في كتاب الأدب وعنون له (باب: حسن العهد من الإيمان)، وفي ذلك دلالة واضحة على أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يحدث أم المؤمنين عائشة عن جزء من حياته السابقة مع أم المؤمنين خديجة، وجعل لذكريات تلك المرحلة أثر في عمله.

---

25) أخرجه الإمام أحمد، **المسند**، مسند الشاميين، مسند العرباض بن سارية، حديث رقم (17242)؛ وأخرجه أيضا: أبو داود في **سننه**، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (4607)؛ والترمذي في **جامعه**، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (2676)، وغيرهم.

26) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (867).

27) متفق عليه، أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين -صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم (3535)؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، حديث رقم (2286).

28) أخرجه البخاري في **صحيحه** في أكثر من موضع منها، كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، حديث رقم (6004)؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أم المؤمنين خديجة، حديث رقم (2435).

ISSN : 2410-1818

6- ومن الأمثلة الصريحة في أنه كان يحدث أصحابه عما سبق من مراحل حياته الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة في نزول الوحي عليه بغار حراء وما تبعه[29]، ففي هذه المرحلة لم تكن أم المؤمنين عائشة قد ولدت بعد على أرجح الأقوال، فروايتها لهذه الأحداث دليل أنها سمعت ذلك منه -صلى الله عليه وسلم- فيما بعد زواجها منه أي في عهده المدني.

7- وقد نقل الصحابة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: "شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه"[30]، فهذه مرحلة سابقة لبعثته بالنبوة؛ لكنه يحدث صحابته عنها، مبينا أن ما جرى فيها محمود، وفيه دلالة على حفظ العهود وإن كانت قبل الإسلام ما دامت فيما يتوافق مع الإسلام، وأن الإسلام جاء لنصر المظلوم، ونحو ذلك.

ثالثا: اهتمام السلف بها.

مما يؤيد حجية السيرة النبوية ما وجدناه من اهتمام لدى السلف الأول من الصحابة والتابعين، فمن ذلك:

1- ما نُقل في ترجمة ابن عباس -رضي الله عنه-، وما ذكروه في سعة علمه، حيث يقول تلامذته: "كنا نحضر ابن عباس فيحدثنا العشية كلها في المغازي والعشية كلها في النسب والعشية كلها في الشعر"[31]، والمعنى أن المغازي -والمقصود بها أحداث السيرة النبوية- كانت حاضرة في دروس ابن عباس وما يقدمه لتلاميذه، إلى جانب دروسه الأخرى في الفقه والتفسير ونحوها من دروس العلم الشرعي.

2- وكذا ما نُقل عن علي بن الحسين زين العابدين من قوله: " كنا نعلّم مغازي النبي -صلى الله عليه وسلم- وسراياه كما نعلّم السورة من القرآن"[32]، وهذا صريح في بيان الأهمية، ولاسيما حين يساوي في تعليم السيرة مع تعليم القرآن الكريم، فبهذا تظهر الأهمية لها.

3- كما نُقل عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص "كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها "[33]، فهذا

---

29) ينظر: البخاري، **الصحيح**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم (3)؛ ومسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم (160).

30) أخرجه أحمد في **مسنده**، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم (1655).

31) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق علي محمد عمر، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الأولى، 2001، ج6، ص 334؛ وينظر: الذهبي، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985م، ج3، ص350.

32) الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق: د. محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ج2، ص195، حديث رقم (1591).

33) المرجع نفسه، ج2، ص195، حديث رقم (1590).

ISSN : 2410-1818

التابعي محمد بن سعد بن أبي وقاص[34] من الثقات وهو لا يكتفي بتعليم أبنائه السيرة؛ بل يحثّهم عليها ويتابعهم على حفظها ، ويحذّر من تضييعها.

وفضلا عما تقدم من نصوص؛ فإن أهمية سيرته -صلى الله عليه وسلم- ظهرت في اهتمام العلماء بها على مرّ العصور، ولم يكن هذا الاهتمام مجرد السرد لها كقصص؛ بل مظاهر هذا الاهتمام تتجلى في تدوينها بشكل علمي منهجي، ثم في نقدهم لتلك المرويات لتمحيصها ، وأخيرا في استنباطهم للأحكام منها في عدة أبواب من العلم.

المطلب الثالث: السيرة عند المحدثين.

لم يقتصر نقل السيرة على الإخباريين؛ بل شاركهم فيها علماء الحديث، فدونوها في دواوينهم الحديثية جنبا إلى جنب مع بقية المرويات من أقواله وأفعاله -صلى الله عليه وسلم- ، ونحاول هنا الوقوف على منهجهم في هذا التدوين وأثره على السيرة.

أولا : السيرة بين علم الحديث والتاريخ

هل تنتسب السيرة لعلم الحديث أم لعلم التاريخ؟ سؤال قد يعرض لمن يقرأ أحداث السيرة المروية في الكتب من كلا العلمين، وأقول إن الصحيح انتسابها لكليهما ، فمن جهة أنها تنقل ما يتعلق بحياة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فإنها من علم الحديث لأنه علم يهتم بـ (ما نقل عنه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة)، ولذلك فقد اهتم بها علماء الحديث في مصنفاتهم الأساسية (مرويات الحديث بأنواعها)، ثم أفردوها بالتأليف في مصنفات خاصة، وتفنّنوا في تفريعها فكانت (السيرة، الشمائل، الخصائص، الدلائل)[35]، وقد تقدم التعريف بهذه الكتب. ومن جهة أخرى فهي -أي السيرة- لها تعلّق بعلم التاريخ؛ وذلك لأنها توثّق أحداثا تاريخية بحسب تسلسل زمن وقوعها.

ثانيا: الفرق بين منهج المحدثين والمؤرخين

من المعلوم أن لعلماء الحديث منهجا خاصا في قبول الأخبار يقوم في الأساس على شرطي العدالة والضبط في الرواة واتصالهم، فهل ساروا على منهجهم هذا في جميع مروياتهم؟ يجيب عن ذلك الدكتور أكرم العمري بأن علماء الحديث يفرقون في تطبيقاتهم لهذا المنهج بحسب ميدان تلك المرويات، فهم

34) من كبار التابعين، روى عن أبيه وعثمان بن عفان وغيرهم، وروى عنه جماعة، ثقة، مروياته في الكتب الستة إلا أبي داود فروى له في المراسيل، توفي سنة 82 هـ، ترجمته عند: الذهبي، **سير أعلم النبلاء**، ج4، ص348؛ وابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق محمد عوامة، طبعة دار الرشيد، سوريا، ط 1، 1986م، ص 480، ترجمة رقم (5904).

35) ينظر: تقي الدين الندوي، **دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى**، ج3، ص373 – 400.

ISSN : 2410-1818

يتشددون فيه عندما يكون الميدان (العقيدة والأحكام)، لكن يتساهلون في بعض ذلك عندما تكون الأحاديث متعلقة بالترغيب والترهيب والفضائل؛ وكذا ما يتعلق بالروايات التاريخية[36].

ولكن لابد لنا هنا من توضيح يتعلق بماهية هذا التساهل، وعن أثره في المرويات، فأولا موضوع التساهل لا يعني قبولهم المطلق عن جميع الرواة ولا لجميع المرويات؛ بل المقصود بذلك التنازل عن بعض الشروط في نوعية الرواة، فهم يقسمون الرواة إلى مراتب تعتمد على تحقق جملة من الصفات (العدالة والضبط)، فيشترطون من هؤلاء الرواة المراتب العليا في مرويات العقائد والأحكام، ويقبلون الأدنى منهم في الأبواب الأخرى من غير النزول إلى المراتب الدنيا من المجروحين (الوضّاعين) الذين لا تقبل رواياتهم بأي حال.

أما من جهة المرويات؛ فإن المقصود بقبول مروياتهم التاريخية التي تتضمن تفاصيل الأسماء والأحداث الزمنية التي لا ينبني عليها حكم شرعي أو عقدي، وإلا فحينئذ سيكون للرواية التاريخية ذات الشروط التي يجب توفرها في المرويات الأخرى.

ومع قوة المنهج في قبول الروايات عند المحدثين؛ إلا أن مروياتهم أحيانا تحتاج لما ورد في الكتب التاريخية، حيث إن التفصيل عند المؤرخين قد يزيل بعض الالتباس الذي ينتج عن الاختصار، يقول العمري: "بعض مصنفات الحديث تخصص قسماً للمغازي والسير مثل صحيح البخاري. ولا شك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سنداً ومتناً، وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية، ولكن ينبغي التفطن إلى أن كتب الحديث - بحكم عدم تخصصها - لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة بل تقتصر على بعض ذلك، مما ينضوي تحت شرط المؤلف أو وقعت له روايته، ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير"[37].

ويمثل العمري لهذا بحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هاجم بني المصطلق وهم غارون -أي بغتة دون إنذار-، وهو حديث متفق عليه[38]، ثم يقول إن الحديث بهذا الاختصار قد يظهر منه ما يتعارض مع منهجه -صلى الله عليه وسلم- في صراعه مع الآخرين فالقرآن الكريم قال {**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً**

36) ينظر: العمري، أكرم ضياء، **مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين**، طبعة مجمع الملك فهد، بلا ت، ص 33.

37) العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 6، 1994م، ج1، ص50.

38) ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقا، فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، حديث رقم (2541)؛ ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام، من غير تقدم الإعلام بالإغارة، حديث رقم (1730).

ISSN : 2410-1818

فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ}، لكن الإشكال يزول بمعرفة تفاصيل القصة المذكورة في كتب السيرة التي تبيّن أنه قد سبق له -صلى الله عليه وسلم- أن قام بإنذار بني المصطلق[39]، فحينئذ يزول الالتباس، ويتضح معنى أن الهجوم لم يكن مفاجئا بالكلية؛ بل المفاجأة في طريقته مع وجود إنذار سابق له.

ومن الفروق بين كتب الحديث وكتب السيرة، أن لكتب الحديث منهج خاص في طريقة ترتيب الروايات، فكتبهم تراعي في ترتيب الأحاديث إما أن تكون على الأبواب، أو بحسب مسانيد الصحابة الذين رووها، بخلاف كتب السير التي تراعي الترتيب الزمني[40].

والمحدثون عموما في نقلهم للروايات المتعلقة بالسيرة؛ فإنهم لا يعتنون بالسرد المتسلسل للأحداث؛ بل يجزّؤون الرواية إلى أجزاء متفرقة، فيوردون كل جزء منها في الباب المناسب له، ويمثّل سليمان العودة لذلك بما فعله الإمام مسلم في هذا الصدد بروايات متعلقة بغزوة تبوك حيث فرقها مسلم في أكثر من عشرة مواضع في صحيحه[41]، وأشهر من قام باختصار الحديث من الكتب الستة هو الإمام البخاري في صحيحه، حيث تميز بتجزئة الحديث واختصاره، ومعلوم طريقة البخاري المتميزة في تكرار الحديث، وهذا ما سنشير له في المطلب الأخير بالأمثلة، ونبين كيف كرر الرواية في أكثر من باب، مترجما لكل منها بما يناسبها، أو ما استنبطه البخاري من ذلك الجزء من الرواية.

ثالثا: السيرة في المصنفات الحديثية

دواوين السنة عند المحدثين مليئة بمرويات السيرة، ونحاول هنا الوقوف على نماذج من ذلك تدليلا على هذا الأمر وسأقتصر على أهم كتاب عند المحدثين وهو صحيح الإمام البخاري.

فالإمام البخاري سمّى كتابه الصحيح بـ (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه)، فنجده قد نصّ في العنوان على كلمة (الأيام)، وهو دليل على أنها جزء مما يُعتمد عليه في الاقتداء والاتّباع، كما أننا نجد بأن أول باب عند البخاري هو (كيف بدء الوحي..)، حيث جعل هذا الباب أساسا ينطلق منه لما بعده من الأبواب بجميع أنواعها، فثبوت نبوته -صلى الله عليه وسلم- بالوحي؛ يلزم منها اتباعه فيما جاء به من عقيدة وشريعة وسلوك، وكأن البخاري بابتدائه بهذا الباب يقول: جميع الأبواب اللاحقة حجة لأنها أقوال نبي مرسل من الله.

---

39) ينظر: العمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، ج1، ص50.

40) ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص50.

41) ينظر: سليمان العودة، **السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق**، دراسة مقارنة في العهد المكي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1993، ص 102.

ISSN : 2410-1818

وقد اعتمد البخاري على ابن إسحاق في السيرة في صحيحه، يقول الخليلي: "ويستشهد به [البخاري] وأكثر عنه فيما يحكي في أيام النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي أحواله وفي التواريخ"[42]، ويعقّب سليمان العودة على هذا بأن استشهاد الإمام البخاري بهذه الروايات ليس على إطلاقه؛ بل هو في المتابعات، والمعلقات[43].

ومن الجدير بالذكر أن صحيح البخاري من أنواع كتب الحديث (الجوامع) التي تتضمن أبواب الدين الثمانية[44]، وعليه فإننا نجد فيه كُتبا تتضمن أبواب الأحكام، وكتبا مخصصة للسيرة، وهذا التقسيم من حيث العناوين الظاهرة، أما إذا دخلنا إلى ما تضمنته هذه الكتب من عناوين فرعية -وهي التي تسمى الأبواب، وهي عبارة عن استنباطات الإمام البخاري لما تضمنته الروايات التي يخرجها في صحيحه-، سنجد التداخل بين الأمرين، فالسيرة هي للتشريع بشكل صريح.

فمما يندرج تحت العنوان الصريح للسيرة (كتاب الجهاد والسير، كتاب المغازي)، وما تتضمنه هذه الكتب من عناوين الفرعية -تراجم الأبواب- نجد عناوين صريحة في الأحكام التشريعية ولاسيما (كتاب الجهاد والسير) فأبواب الكتاب عبارة عن أحكام فقهية متعلقة بالجهاد، ففضلا عن الروايات التي تتضمن أقوالا منه -صلى الله عليه وسلم- في الحث على الجهاد، أو بيانا لسؤال عن حكم، ونحو ذلك؛ فإن الكثير منها مستنبطة من واقع الغزوات في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أما كتاب المغازي فالعناوين الفرعية له (تراجم الأبواب) هي عناوين صريحة في أحداث السيرة المتعلقة بالغزوات والسرايا[45]، ولكن الكثير من تلك الروايات المتعلقة بالسيرة تتضمن أحكاما فقهية، لذلك نجد البخاري قد كرر هذه الروايات في الأبواب الأخرى ومنها أبواب الأحكام. يقول سليمان العودة عن البخاري وعمله في صحيحه: "وإن كان حديثه عن المغازي ليس قصرا على هذا الكتاب [أي كتاب المغازي]، فربما وجدت حديثا عن إحدى الغزوات في كتاب النكاح مثلا أو في كتاب الصلاة،

42) أبو يعلى الخليلي، **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، تحقيق محمد سعيد عمر، طبعة مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى 1409 هـ، ج1، ص 288؛ وينظر: ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1326 هـ، ج9، ص46.

43) ينظر: سليمان العودة، **السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق**، ص 88.

44) أبواب الدين الثمانية هي: العقائد، والأحكام، والسير، والآداب، والتفسير، والفتن، وأشراط الساعة، والمناقب.

45) الغزوة: هي التي يخرج فيها -صلى الله عليه وسلم- مع صحابته بقصد القتال. أما السرية: فهي المجموعة من المقاتلين من الصحابة الذين يرسلهم -صلى الله عليه وسلم- بقصد القتال. ينظر: محمد سليمان المنصورفوري، **رحمة للعالمين**، ترجمة: د. سمير عبد الحميد، ط1، بلا ت، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ص 433.

ISSN : 2410-1818

أو في التفسير، أو غيرها"[46]، ثم يشير العودة إلى تفاوت ذكر السيرة في بقية أبواب صحيح البخاري. وربما سنفصل في هذا بالأمثلة في المطلب الرابع.

كما أن البخاري قد يذكر طرفا من السيرة بالإشارة إليها في ترجمة الباب مثلا من غير أن يورد رواية، في إشارة أن أصل الحادثة ثابتة، لكن الروايات لم تتفق مع شرطه في الصحيح[47].

ونجد ابن حجر في فتح الباري؛ كثيرا ما يستدل بسيرة ابن إسحاق والواقدي وابن هشام، لشرح الأحاديث بما يرد من تفاصيل متعلقة ببعض التفاصيل كالأسماء والزمان والمكان.

المطلب الرابع: أثر السيرة في التشريع

سنتناول في هذا المطلب بيان أبرز الآثار العملية التشريعية المنبثقة عن أحداث السيرة النبوية المنقولة إلينا، سواء المذكورة في القرآن أو في السنة النبوية.

أولا: أحداث السيرة في القرآن الكريم

من يقرأ كتاب الله يجد العديد من الآيات تتحدث عن أحداث وقعت في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو كمقدمات قبل بعثته، والقرآن إذ يوّثق بعض تلك الأحداث من سيرته -صلى الله عليه وسلم- فهو -شأنه شأن بقية القصص القرآني- ليس للتسلية؛ بل للعظة والعبرة ((**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**)) [الحشر:2].

ولكن بما أن القرآن الكريم ليس كتابا للتاريخ؛ بل هو دستور ينظم الحياة بأكملها؛ فلذلك فإن ما يذكره القرآن من أحداث تاريخية تغيب عنها الكثير من التفاصيل[48]، ولكن من أراد معرفة تفاصيل تلك الأحداث التي أوردها القرآن؛ فإنه يجدها في مرويات كتب السيرة، وقد يكون لمعرفة هذه التفاصيل الأثر في تفسير النصوص، فهي -أي التفاصيل- تساعد في فهم هذه الآيات، ومن هنا كانت السيرة رافدا مهما لتفسير هذه الآيات.

وهذه السيرة القرآنية -إن صح التعبير-، فيها فوائد عقدية وتشريعية، يقول الشيخ الحركان: "إن الحدث الذي ترويه كتب السيرة يبقى مجرد حدث مرتبط بزمانه ومكانه وأشخاصه، لكنه عندما يروى في القرآن الكريم يتحول إلى درس كبير يتجاوز ظروف الحدث مكانا وزمانا وأشخاصا إلى حيث يصبح القضية عامة، ومبدأ يعامل به كل المسلمين في كل زمان وكل مكان متى تشابهت

46) سليمان العودة، **السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق**، ص 89.

47) ينظر: المرجع نفسه، ص 89.

48) ينظر: العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، ج1، ص48.

ISSN : 2410-1818

ظروفهم وظروف هذا الحدث الخاص"[49]، ومن هنا يكتسب الحدث التاريخي خصوصية بتوثيق القرآن له؛ بأنه حدث للتفكر فيه والاتعاظ بنتائجه.

ولا أريد هنا الاستطراد في سرد الآيات القرآنية التي تضمنت الإشارة لأحداث السيرة؛ بل أعدّد عناوين لنماذج منها، وهي تصلح لتكون منطلقا لدراسة مستقلة، فمن ذلك: (أصحاب الفيل، الإسراء، غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة الأحزاب، اليهود وسورة الحشر، المخلفين عن غزوة تبوك، قصة الإفك) وغيرها[50].

ولو ذهبنا للتأمل في مثال واحد مما ورد في القرآن الكريم مما يتعلق بحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومما له أثر واضح في التشريعات الفقهية وأحكام المكلفين، سنجد ما ذكره القرآن الكريم من قصة التبنّي لزيد بن حارثة، وزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- من طليقة زيد (زينب بنت جحش) رضي الله عنها[51].

ولو انتقلنا لآيات أخرى وثّقت بعض الأحداث التاريخية في عهده -صلى الله عليه وسلم-؛ سنجد الصراع بين فارس والروم ((الم (**1**) **غُلِبَتِ الرُّومُ** (**2**) **فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**)) [الروم: 1 -3]، ففضلا عن توثيق هذه الآيات لحدث من الأحداث العالمية، وفي رقعة جغرافية خارج الجزيرة العربية، وبعيدة -نوعا ما- عن جغرافيا الدعوة الأولى والصراع بين الإيمان والشرك الذي تتزعمه قريش في ذلك الحين؛ إلا أن القرآن يبين التأثير الكبير لها على حال الدعوة الإسلامية، وعلى الصراع العقدي بشكل عام.

والأمثلة كثيرة جدا مما وثقه القرآن من أحداث في أيام المسلمين زمن نزول الوحي، حيث لا يكتفي القرآن بالسرد للأحداث؛ بل التوجيه بأخذ العظة والعبرة والانتفاع من الدروس واستنباط القواعد، فمعصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- سبب في الهزيمة ((**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**)) [آل عمران:152]، والآيات تتحدث عن أحداث غزوة أحد، وهي إذ توثق تسلسل الأحداث للمعركة، وكيف تغيرت الأمور من الغلبة للهزيمة، فإن الآيات توضح الأسباب لهذه الانتكاسة، فتتحدد للمسلمين قواعد السنن الإلهية في النصر والهزيمة.

---

49) محمد علي الحركان، **السيرة النبوية في القرآن الكريم**، بحث مطبوع ضمن البحوث والدراسات المقدمة إلى المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، الدوحة، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، 1981، ج3، ص14.

50) وينظر: الشريف حاتم العوني، **دراسة السيرة النبوية**، طبعة دار المعراج، ط الأولى، 2023، ص 21 – 24.

51) ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص17.

ISSN : 2410-1818

وفي مثال آخر؛ يبيّن القرآن بأن صدق التوكل على الله يجلب التأييد من الله ونصره للمؤمنين، يقول تعالى: ((بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)) [آل عمران: 125]، ويقابل ذلك: أن الاختلاف والتفرق يؤدي إلى ضعف وهوان ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأنفال: 46]، وبالجمع بين هذه الآيات ومثيلاتها المتعلقة بهذا الموضوع -أعني النصر والهزيمة- تظهر بوضوح ما يجب على المسلمين العمل عليه في إطار الصراع بين الحق والباطل.

هذه مجرد نماذج لمئات الأمثلة الأخرى، والدارس لجميعها يجد أن ذلك كله له دلالات عقدية إيمانية وتشريعية في ذات الوقت، فضلا عن الآيات التي تحدثت عن خصوصيات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكن لها أثرا تشريعيا لجميع الأمة، كآيات الحجاب، والإيلاء، والطلاق، وغيرها كثير.

ثانيا: الآثار التشريعية للسيرة في مرويات المحدثين

أشرنا فيما سبق في المطلب الثالث وتحديدا في الفقرة (ثالثا: السيرة في المصنفات الحديثية) عن اندراج مرويات السيرة عند البخاري -نموذجا- في أبواب الأحكام، كذا ما بوّبه البخاري من تراجم فقيهة تشريعية في كتاب الجهاد والسير، حيث ظاهر العنوان أنه في السيرة، وحقيقته أنه من كتب الأحكام.

والأثر التشريعي لسيرته -صلى الله عليه وسلم- واضحة، ينقل الخطيب البغدادي عن سفيان بن عيينة: "إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الميزان الأكبر؛ فعليه تعرض الأشياء، على خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل"[52].

وقد ألف الإمام ابن القيم -رحمه الله- كتابا سماه (زاد المعاد في هدي خير العباد) ويقول فيه: "ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوقَ كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ... وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيجب على كلَ من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه مَا يَخْرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخل به في عِداد أتباعه وشِيعته وحِزبه، والناس في هذا بين مستقِل، ومستكثِر، ومحروم، والفضلُ بيد اللّه يُؤتيه من يشاء، واللّه ذو الفضل العظيم"[53].

يقول الدكتور عماد الدين خليل: "إن سيرة رسولنا -صلى الله عليه وسلم- تجربة غنية بأحداثها، زاخرة بدلالاتها، متنوعة بمعطياتها، وما كان لباحث يسعى إلى إيفائها حقها من البحث والتحليل إلا

52) الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، ج1، ص79.

53) ابن القيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، طبعة مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار، ط 27، 1994، ج1، ص68 – 69.

ISSN : 2410-1818

أن يوسع نطاق رؤياه ويصبّ اهتماماته على هذه الجوانب جميعا؛ حركية وسياسية وعسكرية وشخصية وفقهية وروحية وواقعية وغيبية وعقيدية وحضارية"[54].

وينقل الدكتور عماد الدين خليل عن محمود شيت خطاب: "وقد أغفلت ذكر الحوادث التي لا يمكن أن تحدث في الحرب فعلا، تلك الحوادث التي يرددها بعض المؤرخين ليثبتوا للناس أن انتصار الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان بالخوارق غير الاعتيادية بالدرجة الأولى، لا بتطبيق مبادئ الحرب. ومن الغريب أنهم يعتبرون ذلك من مظاهر الإيمان برسالة النبي.. لقد كان محمد واقعيا بعيدا عن الخيال، وكان إذا أراد شيئا هيّأ له أسبابه.. وقد عمل بكل مبادئ الحرب المعروفة، إضافة إلى مزاياه الشخصية الأخرى في القيادة، لهذا انتصر على أعدائه، ولو أغفل شيئا من الحذر والحيطة والاستعداد لتبدّل الحال غير الحال"[55].

ولا خلاف أن سلوكه -صلى الله عليه وسلم- كان له التأثير الكبير على من حوله من الناس، حيث أن تأثيره -صلى الله عليه وسلم- كان كبيرا رغم قصر المدة، والسبب في هذا التأثير إنما كان بصدقه وتعامله بالعطف مع العرب الذين اعتادوا الجفوة والغلظة، فزرع في قلوبهم محبته وفرض عليهم هيبته، واستطاع أن يكون لهم القدوة وبشكل عملي واقعي في أن الخير والصدق قوة تستطيع قهر الجهل والظلم[56]، إذن لابد أن يكون سردنا لتلك الأحداث من سيرته العطرة له تأثير على من يأتي من الأجيال، حيث أن هذه السيرة يستنبط منها سننا وقواعد يقتدى بها فهو الأسوة الحسنة، وهو المثال الناصع في ذلك، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة وفي جميع البلاد[57].

ويلخص الدكتور العمري الرأي في هذه المسألة بقوله: "أما عن أهمية الحديث في دراسة السيرة المطهرة، فإن الأحاديث توضح العقائد والآداب الإسلامية، وتبين أحاديث الأحكام النواحي العبادية والتشريعية من صوم وصلاة وحج وزكاة ونظم سياسية ومالية وإدارية، ولا يمكن تكامل تصور الإسلام إلا بمعرفة الحديث، ولكل هذه الجوانب التي تناولتها الأحاديث صلة بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وما تلاه، لأن المسلمين التزموا - بتطبيق (السنة) في حياتهم إلى حد كبير"[58].

---

54) عماد الدين خليل، **دراسة في السيرة**، طبعة بيروت، دار النفائس، ط2، 1425هـ، ص6.

55) المرجع نفسه، ص 8؛ وينظر: محمود شيت خطاب، **الرسول القائد**، طبعة بيروت، دار الفكر، ط6، 1422هـ، المقدمة ص 6-7.

56) ينظر: محمد سليمان المنصورفوري، **رحمة للعالمين**، ص 29.

57) ينظر: المرجع نفسه، ص233.

58) العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، ج1، ص49.

ISSN : 2410-1818

هذا وإننا نجد العلماء يصنفون ما جاء به الدين الإسلامي إلى ثلاثة أقسام (عقيدة وشريعة وسلوك)، ولكن الحقيقة أن هذا تقسيم نظري باعتبار العنوان الأبرز، وليس هو بتقسيم بمعنى التمايز بين هذه الأقسام؛ بل التداخل بينها قائم، وكم من نص -في القرآن أو السنة- يستشهد به في الأقسام جميعا، وإذا جئنا إلى السيرة النبوية فيمكننا الاستدلال منها -وفي الواقعة الواحدة- على هذه الأقسام جميعا، ولنختار على ذلك أمثلة:

المثال الأول: في هجرته وما فيها من تخطيط، ثم بعض أحداثها وما فيها من قصة سراقة، وما تضمنته من فوائد دعوية وتشريعية؛ بل وإعجازية.

ففضلا عما تتضمنه القصة من القيم التربوية في أساليب الدعوة، والمعاني السلوكية التي توجه الأمة لها، فإنها أيضا تتضمن مسائل في التشريع، ومن أدلّ ما يشير لذلك أن أئمة الحديث الذين أخرجوا هذه الرواية في كتبهم قد استنبطوا منها مسائل نصوا عليها في عناوين الأبواب التي ذكروا القصة فيها، حيث أن (تراجم الأبواب) هي المعبرة عن فقه صاحب الكتاب وما استنبطه من ذلك الحديث.

ولو تأملنا -على سبيل المثال- الأبواب التي ترجم البخاري لهذه القصة؛ فسنجده أخرج قصة الهجرة من طريقين، الأولى: من طريق أبي بكر رضي الله عنه مختصرا[59]، أما الطريق الآخر لقصة الهجرة فأخرجها: من رواية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وهي رواية طويلة، أوردها بطولها في غالب الأبواب، وقد يختصرها فيورد جزءا منها[60].

والمتأمل في عناوين التراجم للحديث أعلاه -المذكورة تفصيلا في الحاشية-؛ يدرك أن الإمام البخاري لم يكتف بإيراد هذا الحديث في أبواب السير والمناقب؛ بل أوردها في أبواب تتضمن الأحكام التشريعية، منها ما يتعلق بالبيوع وأبواب أخرى في المعاملات المالية كالكفالة والوكالة وما يتعلق بهما، وكذا ما يتعلق ببناء المساجد، وكذا في الأدب مما يتعلق بالزيارة ووقتها.

---

59) ينظر: **صحيح البخاري:** كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (3615)، وكتاب اللقطة، باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان، حديث رقم (2439)، وكتاب مناقب الأصحاب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، حديث رقم (3652)، وكتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (3917)، وكتاب الأشربة، باب شرب اللبن، حديث رقم (5607).

60) ينظر: **صحيح البخاري،** كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس، حديث رقم (476)، وكتاب البيوع، باب اذا اشترى متاعا أو دابة فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يقبض، حديث رقم (2138)، وكتاب الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة، حديث رقم (2263)، وكتاب الإجارة، باب إذا استأجر أجيرا ليعمل له بعد ثلاثة أيام أو بعد شهر أو بعد سنة، جاز، وهما على شرطهما الذي اشترطاه إذا جاء الأجل، حديث رقم (2264)، وكتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وعقده، لم يرقم له في هذه النسخة، وهو متصل بترجمة الباب، وكتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (3905)، وكتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة...، حديث رقم (4093)، وكتاب اللباس، باب التقنّع، حديث رقم (5807)، وكتاب الأدب، باب هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشيا، حديث رقم (6079).

ISSN : 2410-1818

المثال الثاني: ضياع عقد أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-. وما نتج عن الحادثة من تشريع التيمم، فالرواية يستنبط منها الفقه في التيمم، فضلا عن الفوائد التربوية المستنبطة من القصة في منهجه -صلى الله عليه وسلم- في تعامله مع زوجته، ومع أصحابه، ورحمته بها وبهم، وتوازنه بين مراعاة الحقوق البشرية لأهله والحقوق الدينية.

والناظر في كتب الحديث يجد أنه قد أخرجه أصحاب الكتب الستة عدا الترمذي، فضلا عن العديد من كتب الحديث الأخرى.

وقد أخرجه البخاري في عدة أبواب، بعضها ذكر القصة كاملة، وفي بعض الأبواب اختصر من الرواية ما يتناسب مع ترجمة الباب، وعند استعراض هذه الأبواب التي أخرج البخاري هذا الحديث فيها وما ترجم لها؛ يجدها بين أبواب فقهية تشريعية تتعلق بالتيمم، أو ما يتعلق بالعلاقات الأسرية؛ مما تعمله العروس من استعارة بعض الأشياء، أو في تأديب الأب لابنته، أو أهله، وما يتعلق بالاستعارة في اللباس ونحوه، فضلا عن إخراجه في أبواب المناقب لبيان فضل الصديق رضي الله عنه وفضل ابنته أم المؤمنين[61].

فالقصة حاضرة في الفقه وأبوابه، وليست قصة مجردة للتسلية، ولا لمجرد سرد تاريخي يكمل صورة حياة من تحدث عنهم القصة.

المثال الثالث: حادثة وفاته -صلى الله عليه وسلم- ، سواء أثناء مرض موته وصعود روحه، أم ما فعله الصحابة من تغسيله وتكفينه ودفنه صلوات ربي وسلامه عليه، فالرواية تتضمن جوانب عديدة من الأحكام الفقهية، ونكتفي بالتمثيل لما تضمنه الشق الأول من الحادثة، فقد رواها عدد من الصحابة، لكن أقرب من كان إليه زوجته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، فقد فارقت روحه جسده الشريف وهو في حجرها، وحديثها أخرجه الجماعة أصحاب الكتب الستة، ولنتأمل كمثال على استنباطات الإمام البخاري من هذا الحديث الذي أخرجه في أكثر من عشرين بابا، من طرق

61) ينظر: **صحيح البخاري**، أول كتاب التيمم، حديث رقم (334)؛ وكتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، حديث رقم (336)؛ وكتاب المناقب، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لو كنت متخذا خليلا»، حديث رقم (3672). أي في فضائل أبي بكر؛ وكتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (3773)؛ وكتاب التفسير، باب قوله: {وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط} [النساء: 43]، حديث بلا رقم متصل بترجمة الباب؛ وكتاب التفسير، باب قوله: {فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا} [النساء: 43]، حديث رقم (4607، و 4608)؛ وكتاب النكاح، باب استعارة الثياب للعروس وغيرها، حديث رقم (5164)؛ وكتاب النكاح، باب طعن الرجل ابنته في الخاصرة عند العتاب، حديث رقم (5250)؛ وكتاب اللباس، باب استعارة القلائد، حديث رقم (5882)؛ وكتاب الحدود، باب من أدب أهله أو غيره دون السلطان، حديث رقم (6844، و 6845).

ISSN : 2410-1818

متعددة بعضها على الاختصار وبعضها بطوله، والمتأمل في تراجم هذه الأبواب يجد أغلبها في الأحكام الفقهية، وهي تتنوع بين الطهارة والصلاة والجنائز والديات والطب وغيرها[62].

وكثيرا ما رأينا بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- كيف أن الصحابة -رضوان الله عليهم- يتتبعون آثاره والاقتداء بها، ويستدلون من سيرته على حكم شرعي أو عقدي أو تربوي أو جميعها، ففي الحديث المتفق عليه "أنَّ عمر -رضي الله عنه- جاء إلى الحجر الأسود وقبَّله، وقال: إنِّي أعلمُ أنَّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- يُقبِّلك ما قبَّلتُك"[63]، ولا يغيب عنا تمسك عبد الله بن عمر بأفعال من السنن وفي أماكن محددة؛ تأسيّا بما كان يفعله -صلى الله عليه وسلم-، سواء

62) ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، حديث رقم (198)، وكتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، حديث رقم (664، 665)، وباب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، حديث رقم (679)، وباب من قام إلى جنب الإمام لعلة، حديث رقم (683)، وباب إنما جعل الإمام ليؤتم به، حديث رقم (687)، وباب من أسمع الناس تكبير الإمام، حديث رقم (712)، وباب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم، حديث رقم (713)، وباب إذا بكى الإمام في الصلاة، حديث رقم (716)، وكتاب الجمعة، باب من تسوك بسواك غيره، حديث رقم (890)، وكتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، حديث رقم (1389)، وكتاب الهبة، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها، حديث رقم (2588)، وكتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–، حديث رقم (3099، و3100)، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، حديث رقم (3384)، وكتاب المغازي، باب مرض النبي –صلى الله عليه وسلم– ووفاته، حديث رقم (4437، و4438، و4439، و4440، و4441، و4442، و4445، و4446، و4449، و4450، و4451)، وباب آخر ما تكلم به النبي –صلى الله عليه وسلم–، حديث رقم (4463)، وكتاب التفسير، باب {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين} النساء: 69، حديث رقم (4586)، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، حديث رقم (5016)، وكتاب النكاح، باب إذا استأذن الرجل نساءه في أن يمرض في بيت بعضهن فأذن له، حديث رقم (5217)، وكتاب المرضى، باب شدة المرض، حديث رقم (5646)، وباب قول المريض: إني وجع، أو وا رأساه، أو اشتد بي الوجع، حديث رقم (5666)، وباب تمني المريض الموت، حديث رقم (5674)، وكتاب الطب، باب اللدود، حديث رقم (5712، و5714)، وباب الرقى بالقرآن والمعوذات، حديث رقم (5735)، وباب في المرأة ترقي الرجل، حديث رقم (5751)، وكتاب الدعوات، باب دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم–: «اللهم الرفيق الأعلى»، حديث رقم (6348)، وكتاب الرقائق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم (6509)، وباب سكرات الموت، حديث رقم (6510)، وكتاب الديات، باب القصاص بين الرجال والنساء في الجراحات، حديث رقم (6886)، وباب إذا أصاب قوم من رجل، هل يعاقب أو يقتص منهم كلهم، حديث رقم (6897)، وكتاب الأحكام، باب الاستخلاف، حديث رقم (7217)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع، حديث رقم (7303).

63) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، حديث رقم (1597)؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، حديث رقم (1270).

ISSN : 2410-1818

في الحج أو في غيره، مسترشدا لما يفعل بما يرويه عما شهده من فعله -صلى الله عليه وسلم- ومستدلا بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة) [الأحزاب: 21][64].

وختاما فإنه مما لا ريب فيه أن معرفة تفاصيل حياته -صلى الله عليه وسلم- لها أثر في ترسيخ محبته لدى المسلم، مما يؤثر على شدة الاقتداء به في العبادات والمعاملات والسلوك، وينتج عن محبته هذه؛ الرغبة في لقائه يوم القيامة وصحبته في الجنة، مما يتطلب الحرص على الطاعات وتجنب المعاصي بأنواعهما، فيكون بذلك أثر واضح في انعكاس معرفة السيرة على سلوك الأفراد والجماعات في شتى النواحي، ولهذا وجدنا علماء الحديث وهم يعرّفون الحديث المرفوع يجعلون من أقسامه (صفاته).

النتائج:

يمكننا استنباط جملة من النتائج بعد هذا التطواف تورد أهمها:

- إن تطور علم السيرة النبوية نتاج لاهتمام الأمة الإسلامية بها والحرص على نقلها وتوثيقها.
- كان من نتائج هذا التطوّر تفرع علوم جديدة على يد علماء الحديث من أهمها (الشمائل) و(الخصائص) و(الدلائل)، وبين هذه الفروع تداخل وارتباط.
- كان لعلماء الحديث النبوي دور كبير في العناية بالسيرة النبوية، وكان لهم كبير الأثر في نقل المرويات كجزء من مصنفاتهم الحديثية باختلاف أنواعها.
- لم تكن مرويات السيرة بمعزل عن أبواب التشريع، فهي كبقية المرويات جزء من الأحكام التشريعية، والأدلة على أن للسيرة حجة في التشريع كثيرة، منها إيراد هذه المرويات في أبواب الأحكام الفقهية، والترجمة لها بتراجم من الاستنباطات الفقهية.
- حرص علماء الحديث على جعل (صفات النبي -صلى الله عليه وسلم-) من المرفوع ونقله؛ لما له كبير الأثر في ترسيخ محبته لدى المسلم، ولذلك كبير الأثر على سلوك المسلم في جميع نواحي حياته.

64) ينظر على سبيل المثال: **صحيح البخاري**، أبواب تقصير الصلاة، باب من لم يتطوع في السفر دبر الصلاة وقبلها، حديث رقم (1101)، وكذا في كتاب الحج في عدة أبواب، الأحاديث رقم: (1623، 1627، 1639، 1640، 1645، 1647، 1693، 1708).

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
3. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
4. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ودار الريان، بيروت، ط 1، 1988.
5. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع (سنن الترمذي)، تحقيق بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
6. الترمذي، محمد بن عيسى، الشمائل المحمدية، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، طبعة المكتبة التجارية، مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط 1، 1993.
7. تقي الدين الندوي، دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى، بحث مطبوع ضمن البحوث والدراسات المقدمة إلى المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، الدوحة، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، 1981.
8. تقي الدين الندوي، محمد رسول الله رحمة للعالمين، طبعة دار القلم - دمشق، ط أولى، 2022.
9. ابن تيمية، النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، 2000.
10. الجرجاني، التعريفات، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى، 1983.
11. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، طبعة دار العلم للملايين - بيروت، ط 4، 1987.
12. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، طبعة دار الرشيد، سوريا، ط 1، 1986.
13. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.
14. الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف، الرياض.
15. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، طبعة دار الرسالة العالمية، ط 1، 2009م.
16. الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985م.

ISSN : 2410-1818

17. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999.
18. الردادي، د. خالد بن قاسم، المدخل إلى علم الشمائل، بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، السنة 2020، العدد (36)، المجلد الثاني.
19. الزهراني، ضيف الله بن يحيى، مصادر السيرة النبوية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
20. ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001.
21. سليمان العودة، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، دراسة مقارنة في العهد المكي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1993م.
22. السلمي، د. محمد بن صامل، السيرة النبوية أهميتها-أقسامها- مقاصد دراستها، دار ابن الجوزي.
23. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الخصائص الكبرى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت.
24. الشريف حاتم العوني، دراسة السيرة النبوية، طبعة دار المعراج، ط الأولى، 2023.
25. عبد الشافى محمد عبد اللطيف، أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، بلا ط، بلا ت.
26. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، طبعة بيروت، دار النفائس، ط2، 1425هـ.
27. العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة - محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 6، 1994م.
28. العمري، أكرم ضياء، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، طبعة مجمع الملك فهد، بلا ت.
29. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، طبعة دار القلم، دمشق، ط 3، بلا ت.
30. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005.
31. ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار، الكويت، ط 27، 1994.
32. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
33. محمد سليمان المنصورفوري، رحمة للعالمين، ترجمة: د. سمير عبد الحميد، ط1، بلا ت، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.
34. محمد علي الحركان، السيرة النبوية في القرآن الكريم، بحث مطبوع ضمن البحوث والدراسات المقدمة إلى المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية، الدوحة، طبعة المكتبة العصرية، بيروت.

ISSN : 2410-1818

35. محمود شيت خطاب، الرسول القائد، طبعة بيروت، دار الفكر، ط6، 1422هـ.
36. مسلم بن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
37. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، ط 3، 1982.
38. ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
39. أبو يعلى الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد عمر، طبعة مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى 1409 هـ.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN :2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2020	2021	2022	2023	2024
معامل أرسيف	0.0366	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068
معامل التأثير العربي	1.60	1.60	1.73	1.25	1.55